

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[207] الفقر والذل، فهلاًّ أُلقي عليهما أساوره من ذهب، إعطاهما للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه. ولو أراد الله سبحانه بأَنْبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذُّهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء، واضمحت الأنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمَت الأسماء معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله أُولي قوَّة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً. ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا تُرام وعزَّة لا تُضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال، وتشدُّ إليه عُقد الرجال، لكان ذلك أهون على الخلق في الإعتبار وأبعد لهم في الإستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيَّاتُ مشتركة والحسنات مقتسمة، ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإِتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والإستكانة لأمره والإستسلام لطاعته، أموراً له خاصَّة لا تشوبها من غيرها شائبة. وكلما كانت البلوى والإختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل". (1) و الجدير بالذكر أنَّ البعض يرى بأنَّ المراد بالجنَّة والقصور، جنَّة الآخرة قصورها، لكن هذا التفسير لا ينسجم مع ظاهر الآية بأي وجه. (2) * * *

_____ 1 - "الخطبة القاصعة"، الخطبة 192 نهج البلاغة، 2 - وكذلك

الذين قالوا: إن المقصود هو جنات الدنيا وقصور الآخرة، فالفعلان الماضي والمضارع (جعل ويجعل) اللذان في الآية، ينبغي ألا يكونا باعثاً على هكذا وهم أيضاً، لأنَّنا نعلم طبقاً لقواعد الأدب العربي، أن الأفعال في الجملة الشرطية تفقد مفهومها الزماني.